

ظاهرة لهجيّة واحدة

في قبيلة هذيل

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

القضية :

تذكر مصادر التراث : أن الهمزة تبدل من الواو جوازاً في موضعين :
أ - إذا كانت مضمومة ضمّاً لازماً غير مشدودة : كوجه وأجوه ، وروقوت وأقوت ، في جمع : وقت
ووجه

ب - إذا كانت مكسورة في أول الكلام : كإشاح ، وإفادة ، وإسادة في : وشاح ، وإفادة ، وإسادة .

البحث والدراسة وتفسير الظاهرة :

المضمومة فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت
أولاً فمن ذلك قولهم : إسادة وإعاء .
فسيبويه لم يعز الظاهرة لقييل معين من العرب ، كما
أهملت مصادر كثيرة في التراث عزو الظاهرة (١) ،
ولكن الظاهرة عزيت إلى هذيل في مصادر أخرى
منها : جمهرة ابن دريد ، حيث يقول : هذيل
تقول : إشاح في معنى : وشاح (٢) ، وفي مكان
آخر من الجمهرة (٣) يقول : وإسادة في وسادة لغة

يقول سيبويه في باب ما كانت الواو فيه أولاً ،
وكانت فاء « أعلم أن هذه الواو إذا كانت
مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على
حالتها ، وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها ، وذلك
نحو قولهم في : وَلَدٌ : أَلَدَ وفي : وَجْهٌ :
أُجِوه » (١) .

ثم يقول سيبويه بعد ذلك « ولكن ناساً كثيراً
يجرون الواو إذا كانت مكسورة مُجرى

والمخصص ٧٤/٤ ، وشرح الشافية ٧٦/٣ .

(٢) الجمهرة ١٦١/٢

(٣) ٢٦٧/٢

(١) الكتاب ٣٣٠/٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٢) انظر : سر الصناعة ١٠٤ لابن جني ، والمنصف ٢٢٩/١

والكامل للميرد مع رغبة الآمل ١٩٥/١ ، ٢٣٩/٣ وإصلاح

المنطق ٦٥٩ فما بعدها والإبدال ١٣٨ لابن السكيت ،



مناقشة نسبة الظاهرة ومكانها

وأمام هذا كان لابد من بحث مستفيض في شواهد الظاهرة والتعرف على مكانها في الجزيرة العربية وقبائلها يوم ظننت وحين أقامت ، وإليك ما يلي :

(١)

يقول مالك بن خالد الخناعي :
أحني الصريمة أحياناً^(٨) الرجال له
صيد ومستمع بالليل هجّاس^(٩)
(أحياناً في وحدان) .

(٢)

وقال البريق الخناعي :
أبا معقل إن كنت أشتت حلة
أبا معقل فانظر بنبلك من ترمي^(١٠)
(أشتت في وشحت)

(٣)

ومن شعر البريق :
فأصبحت لا أدعو من الناس واحداً
سوي إلددة في الدار غير مقيم^(١١)
(إلددة في ولددة)

هذلية . كما عزيت إلى هذيل في الإبدال لابن السكيت^(١) حين يحكي عن الفراء قوله : وتقول هذيل للوقاء : إقاء ، وللوعاء : إعاء ، وللوضاء : إضاء . ويقال : وشاح وإشاح ، ووسادة وإسادة ، وولدة وإلدة » كما عزيت إلى هذيل في مقدمة كتاب المباني^(٢) ، وذلك عند قوله تعالى : « وإذا الرسل أقتت » بضم الهمز ، والأصل : وقّت . ويقول أبو حيان عند قوله تعالى « قبل وعاء أخيه »^(٣) وذلك مطرد في لغة هذيل يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولاً همزة^(٤) . وعزيت إلى هذيل في حاشية الصبان على كتاب الأشموني^(٥) ، كما عزيت إلى هذيل في إعراب القرآن للنحاس حين يقول « ثم استخرجها من وعاء أخيه » ويجوز إعاء وهي لغة هذيل ومثله : إكاف . و(وكاف)^(٦) .

ومما سبق نرى أن الظاهرة مهمة العزو حيناً ، أو معزوة إلى قبيلة هذيل حيناً آخر ، ولكن يطالعنا ابن منظور بقول مخالف لما سبق حيث يقول : وقاط وإقاط . الهمزة تبدل من الواو ، ولغة تميم في جمعه : الإقاط مثل : إشاح . يصيرون كل واو تحيء على هذا المثال ألفا^(٧) .

(٧) اللسان (وقط) .

(٨) أحياناً جمع واحد ، وهو الرجل المتقدم في بأس أو علم كأنه لا مثل له .

(٩) ديوان الهذليين ٤/٣ ، مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٣ .

(١٠) ديوان الهذليين ٦٥/٣ .

(١١) ديوان الهذليين ٦١/٣ ، مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٣ .

(١) ٥٧ تحقيق هفتر

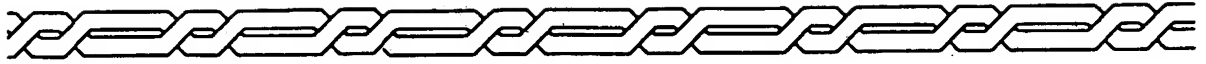
(٢) ٢٢٣ تحقيق المستشرق آرثر جفري

(٣) آية ٧٦ من يوسف

(٤) البحر المحيط ٥/٣٣٢

(٥) ج ٤ ص ٢٩٦ ط أول ١٩٤٧ .

(٦) إعراب النحاس ١٥١/٢ وانظر سورة يوسف آية ٧٦



(٤)

وروى ابن الأعرابي :
وآخر مُلْتَاتٍ يَجْرُ كَسَاءَهُ

نفى عنه إحدان الرّقين الملاويا ^(١)

(إجدان في وجدان)

وتقول العرب :

وجدان الرّقين يغطي أفنّ الأفين .

(٥)

وقال صخر الغي :

فكان لها أدّي ودّيقة ميعتي

وليدا إلى أن رأسيّ اليوم أشيب ^(٢)

(أدّي في ودّي)

(٦)

وقال حبيب الأعمى :

هواء مثلُ بعلك مُستميت

على ما في إعائك كالخيال ^(٣)

(إعائك في وعائك)

(٧)

وقول المعطل :

له إلة سفْعُ الوجوه كأنهم

يصفّقهم وعك من الموم ما هن ^(٤)

(إلة في ولدة)

(٨)

ويقول مالك بن خالد الخناعي :

لألدك أصحابي فلا تزدهيمهم

بساية إذ مدّت عليك الحلائب ^(٥)

(إلدك في ولدك)

(٩)

أجدّ الخليط اليوم أشكّ التنايل

فجاءة فجاع من البين عاجل ^(٦)

(أشك في وشك)

وقد عزا (فريتاج) الصيغة المهموزة لهذيل .

ومما يلاحظ أن الشعراء السابقين من قبيلة

هذيل ، وهذا يؤكد أن الظاهرة فيهم ، إلا أنني

عثرت على الظاهرة نفسها في شعر الشنفرى حيث

يقول في لاميته :

فأَيْمَتْ نَسوانا وأَيْمَتْ إلة

وعدت كما أبدأت والليل أيل

كما عثرت على الظاهرة أيضا في شعر النابغة حين

يقول :

(فهنّ إضاء صافيات الغلائل) ^(٧)

أراد : وضاء . أي : حسان نقاء . فأبدل

الهمزة من الواو المكسورة .

الحمى . الموم = البرسام ، كتابة عن أنهم مهازيل .

(٥) الديوان ٩/٣ (وساية) اسم واد .

(٦) فريتاج ص ٨٣ في كتابه :

Einleitung in das Studium arabischen Sprache

Bonn, 1861.

وانظر شرح أشعار الهذليين . صنعة السّكري ص : ١٠٢٠

تحقيق عبد الستار فراج ط . دار العروبة بالقاهرة . وقد عرى

الشاهد إلى مليح بن الحكم الهذلي .

(٧) اللسان : ١٩٠/١ مادة (وضا) .

(١) اللسان ٤٥٨/٤ والمعنى : المال يغطي العيوب .

(٢) التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السّكري ، لابن جني

١٩٤ تحقيق أحمد ناجي القيسي وآخرين . ط بغداد ، وانظر

فريتاج ص ٨٣ في كتابه :

Enleitung in das Studium arabischen Sprache

-Bonn, 1861

(٣) ديوان الهذليين ٨٣/٢ .

(٤) ديوان الهذليين ٤٩/٣ . إلة = أولاد ، والولد بكسر الواو

وضمها ما ولد أيا كان ، ويقع على الواحد والجمع والذكر

والأنثى ، وقد جمعوا على أولاد وولدة وإلة . الوعك :



حين كانت تنطقها قبيلة تميم (سورة)^(٢)
بالهمز .

ج (كما روى أن الحسن البصري قال يوماً لبعض
جلسائه : توضيت ، فقبل له : أتلحن يا أبا
سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل ، وفيهم
نشأت^(٣) .

د (وفي محاورة لابن جني قال : ترك الهمز لغة
هذيل^(٤) .

وعلى الرغم من هذه الأدلة التي تؤكد عدم
الهمز في هذيل ، إلا أنني أرى أنها حولت الواو
المكسورة في أول الكلمة إلى همزة كما في : إشاح
وإعاء وإسادة وإفادة ، كما حولت الواو المضمومة
في أول الكلمة إلى همزة كما في : أقتت ، وأشك ،
وأد ، فهذيل عندما همزت كانت تهمز في حالة
خاصة بها وهي : وقوع الواو في أول الكلمة ،
وبشروط خاصة ، وليس معنى هذا أن من طبيعتها
وديدنها الهمز ، يؤكد هذا ما في تعريف المازني^(٥)
« واعلم أن الواو إذا كانت أولاً وكانت
مكسورة ، فمن العرب من يبدل مكانها الهمزة
ويكون ذلك مطرداً فيها فيقولون في : وسادة :
إسادة وفي : وعاء إعاء وفي : وفادة : إفادة ،
ورسم زعم سيويه أنه سمعهم ينشدون :

إلا الإفادة فاستلوث وكائبنا
عند الجباير بالبأساء والنعم

أما الشنفرى فهو شاعر قحطاني جاهلي من
الأزد عاش في البادية بعد أن عاف الحضر وكبره
سكان القرى والمدن . والمعروف في عالم الجغرافيا
كما ذكرنا سابقاً في مقدمة تاريخ هذيل — أن بعض
بطونها كان يجاور اليمن ، ومن هنا جاء التأثير
فانعكست بعض الظواهر الهذلية على قبيلة الأزد
اليمنية وهي قبيلة الشنفرى . وأما الشاهد الثاني
فقائله النابغة وهو حجازي ، وهذيل تقع جغرافياً
في منطقة الحجاز ، فهي لصيقة بها نسباً
وجواراً ، فلا عجب أن وجدنا الظاهرة الهذلية في
شعر حجازي .

شبهة وردّها

ومعنى ما سبق أن هذيلاً أثرت الصيغة
المهموزة ، ولكن الروايات والأخبار تؤكد أن
هذيلاً كانت لا تحقق الهمز ، بل كانت تسهله
بدليل :

أ (قول أبي زيد «أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة
والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر
فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم
أصحاب نبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا
نبروا»^(١) والنبر معناه الهمز .

ب (وما روى من أن قريشاً كلها ، ومن جاورها
من قبائل العرب : كهذيل ، وسعد بن بكر
وكنانة يقولون : سورة — بغير همز ، علي

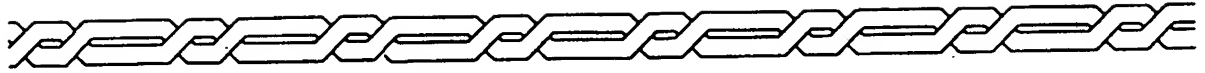
(٤) الخخص ٥٤/٥ .

(٥) ٢٢٨/١ .

(١) اللسان ١٤/١ .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ٢٨٣-٢٨٤ .

(٣) تاج العروس ١٣٤/١ وانظر : تاريخ آداب العرب ٢٤٦/١
للرافعي .



.... ثم يقول : ولا يهمزونها مكسورة إذا كانت غير أول « فهذيل تهمز إذا كانت الواو أولا وكانت مكسورة كما رأيت في هذا النص ، وأكثر العلماء يقفون في همز الواو المكسورة علي السماع دون القياس إلا المازني فإنه كان يراه مطردا ، كما أنها تهمز إذا كانت الواو مضمومة بشروط أيضا ، وهي أن تكون الواو مضمومة ضمّا لازماً غير عارض (١) . وهذا الهمز مطرد عند العلماء كقولهم في : وُلِدَ : أَلِدَ وفي : وجوه : أجوه وفي : وُعِدَ : أَعِدَ . وفي : وُقِّتَ : أَقَّتَ فلا يجوز الهمز في هذا (دَلُوْ) لأن الضمة عارضة يزيلها النصب والجر ، ولا يجوز في : «ولا تنسوا الفضل بينكم» . لأن الحركة غير لازمة إنما هي للالتقاء الساكنين (٢) ، كما أنها لا تقلب همزة إذا كانت الواو مضمومة مشدودة كالتقول : لقوتها بالتشديد ، وصيرورتها كالحرف الصحيح (٣) .

بين القدماء والمحدثين في تفسير الظاهرة

عرف القدماء من علماء العربية سرّ تحول الواو إلى الهمز فيما سبق وعللوه بالثقل ، وفي ذلك يقول سيبويه : « وإذا التقت الواوان أولا : أبدلت الأولى همزة ، ولا يكون فيها إلا ذلك ؛ لأنهم لما استثقلوا التي فيها الضمة فأبدلوا ، وكان ذلك مطرداً إن شئت أبدلت وإن شئت لم تبدل ، لم يجعلوا في الواوين إلا البديل ؛ لأنهما أثقل من الواو

والضمة » (٤) ومعنى هذا ثقل الضمة على الواو ؛ لأن الضمة تجري مجرى الواو ، وهي كما يقولون واو صغيرة ، كما أن الكسرة ياء صغيرة ، والفتحة ألف صغيرة ، وكذلك استثقلت الكسرة على الواو في أول الكلمة دون وسطها نحو : طويل وعويل ؛ لأن الابتداء بالمستثقل أشنع ، وفي هذا يقول سيبويه : « ولكن ناسا كثيراً يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولا ، كرهوا الكسرة فيها » (٥) فهم شبهوا الواو المكسورة بالواو المضمومة لأنهم يستثقلون الكسرة كما يستثقلون الضمة ، يوضح هذا ابن يعيش حيث . يرى أن همز الواو المكسورة وإن كثر عندهم فهو أضعف قياساً من همز الواو المضمومة وأقل استعمالاً ، ألا ترى أنهم يكرهون اجتماع الواوين فيبدلون من الأولى همزة نحو (الأواقي) ولا يفعلون ذلك في الواو والياء نحو : يح ووين « فلما كان حكم الضمة مع الواو قريباً من حكم الواو مع الواو ، وجب أن يكون حكم الكسرة مع الواو قريباً من حكم الياء مع الواو » (٦) .

وأياً ما كان فالواو صوت انتقالي — عند المحدثين (٧) يبدأ تكوينه من موضع صوت اللين — ثم ينتقل اللسان بسرعة إلي موضع صوت لين آخر ، ولذا تسمّى عندهم (نصف ساكن) ، أو

(١) تعريف المازني ٢١٢/١ .

(٢) انظر شرح الفصل ١٢/١٠ لابن يعيش .

(٣) شرح الشافعية : ٧٨/٣ تحقيق الرفراف وآخرين .

(٤) الكتاب ٣٣٣/٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ،

وانظر تصريف المازني ٢١٦/١ فما بعدها .

(٥) الكتاب ٣٣١/٤

(٦) شرح الفصل ١٤/١٠

(٧) الأصوات اللغوية ٤٩ ط ٢ دكتور إبراهيم أنيس



(ساكن ضعيق) ؛ لأننا نسمع لها نوعاً ضعيفاً من الحفيف ، كما تتميز الواو بانفتاح يقر بها من الحركات ، لذلك تعتبر (نصف حركة . Semi Vowel) .

وهذه الخاصية تجعلها كثيرة الحذف والتغير ، ومن أجل هذا فإننا لا نستطيع رسم حركة مستقلة عن الحرف ، وكان من الضروري أن تعتمد الحركة علي حرف ، وكان هذا الحرف همزة ؛ لأنها من أشد الأصوات وأجلدها ، فهو صوت شديد فيه ينحبس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ثم ينفرج دفعة واحدة محدثاً هذا الصوت . وحسب النحاة الأقدمون وعلماء العربية قاطبة أن ذلك من باب الإعلال والإبدال ، وليس من ذلك في شيء من وجهة نظرنا ، فلا إعلال ولا إبدال كما ظن القدماء ونفر من المحدثين ، وإنما حدث حذف للواو ، مع بقاء الحركة ، ولما كانت العربية لا ترسم الحركات ومدّها مستقلة عن الحروف ، فقد اعتمدت الحركة علي حرف هو همزة — واللجوء إلي همزة لتعتمد عليها الحركة سنة إنسانية عامة تعرفها جميع اللغات — فظن القدماء أن الواو قلبت أو أبدلت همزة ، وليس كذلك إلا إذا اعتبرنا قول القدماء نوعاً من التعليم أو التبسيط . والأمر لا يعدو أن هذيلاً لا يؤثر تتابع الحركات ، ولهذا لجأت إلي نبر المقطع الأول فكانت همزة الموجودة في أول الكلمات التي أشرنا إليها آنفاً .

والقدماء وعلي رأسهم سيبويه يرون في الظاهرة

(إبدالاً) ^(١) والباقون يجدون لها مكاناً في باب (الإعلال) ^(٢) يقول سيبويه : وليس حرف أقرب إلي همزة من الألف والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما أقرب الحروف منها ^(٣) ويعلق السيرافي علي قول سيبويه بقوله : يعني بذلك أن الألف هي شبيهة بالهمزة ، والواو والياء أيضاً شبيهة بالهمزة ، مع شركة الواو والياء لأقرب الحروف منها ، أعني من همزة ، وأمر بهذا تقريب أمر هذه الحروف الثلاثة من همزة ، لبيّن أنه سائغ إبدالهنّ منها ^(٤) .

ويسير أبو البقاء العكبري في ركاب سيبويه حيث يقول : ويقرأ « وِيَاكَ » في سورة الفاتحة ، بواو مكسورة مكان همزة ، وفي هذا بعد ، إلا أن له وجهاً من القياس ، وذلك أنهم قالوا في : وعاء = إعاء ، وفي : وشاح = إشاح ، وفي : وجاح = إجاح . فأبدلوا من الواو همزة ، وذلك دليل علي اشتراك بينهما يسوّغ قلب إحداهما إلي الأخرى ، ووجه الاشتراك أن مخرج همزة أول الخارج مما يلي الحلق ، ومخرج الواو الشفتان وهو أول من جهة طرف الفم ، فهما مشتركان في الأولية ، وفي أن كل واحد منهما مقابل للآخر ، وفي أن همزة ثقيلة ، تخرج بكلفة وتهوّع ، والواو ثقيلة لتعلقها بعضوين وهما : الشفتان ، فلما اشتركا من هذه الوجوه شاع أن يُبدل أحدهما من الآخر ^(٥) . والعكبري لم يوفق حيث حاول بأسلوب منطقي أن يجعل بين الحرفين مودة

(٤) الكتاب ٣ / ٥٤٤ تحقيق الأستاذ هارون .

(٥) إعراب القراءات الشواذ للعكبري : نسخته مصورة بمكتبة كلية

دار العلوم بالقاهرة .

(١) انظر شرح التصريف ٢٢٨/١ وابن يعيش ١٠/١٠ وشرح

الشافعية ٧٨/٣ فما بعدها .

(٢) انظر : كتب التصريف وبطولاتها وشروحاتها .

(٣) الكتاب ٣ / ٥٤٤ .



ورحمة ، ونسباً وقرى بتنظير لا يقرّه عليه العمل التجريبي المعملي ، ولعله وفق في أول النص حين قرر أن هذا الإبدال فيه « بُعْدٌ » . ثم خالفه الصواب في نهايته حين رأى أن ذلك من باب الإبدال والقلب .

سيبويه ومن سار سيره يرى علاقة بين الهمزة والواو ليصح عندهم الإبدال ، والحقيقة أنه لا علاقة مخرجية أو وصفية بينهما تسوّغ هذا الإبدال ، بل بين الصوتين مفارقات كثيرة منها : أ — أن الهمزة من أقصى الحلق ، والواو من أقصى اللسان ، وليس من الشفتين كما رأى سيبويه والبكري .

ب — أن الهمزة صوت انفجاري شديد ، والواو صوت انتقالي نصف حركة .

ج — والهمزة صوت مهموس ، والواو صوت مجهور .

فلا علاقة إذن تسوّغ هذا الإبدال كما توهم أكثر علماء العربية وعلى رأسهم سيبويه .

وأرى أنه لبعد العلاقة بين الواو والهمزة فلا نستطيع أن نقول بالإبدال بينهما ، بل هما من المترادف في حالة اتفاق الكلمتين في المعنى ، فإذا اختلف المعنى بينهما رجحت أن كل صيغة منهما أصل مستقل ، من ذلك ما نقله السيوطي ^(١) عن القالي في أماليه : قرأت على أبي عمر المطرّز ، قال : حدثنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : الـورث في الميراث ، والإرث في الحسب .

على أن كثيراً من علماء العربية باستثناء القراء وعلماء القراءات — كانوا يرون وقوع الإبدال بين الحرفين مع اختلافهما مخرجاً وصفة ^(٢) ، وهنا يجب أن نشير إلى تلك اللفظة الذكية من ابن سيده حيث يرى : أن ما لم يتقارب مخرجاه البتة فقليل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلاً ، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق ^(٣) .

﴿ مناقشة عزو الظاهرة إلى تميم ﴾

في أول البحث أشرنا إلى أن صاحب اللسان عزا الظاهرة إلى تميم ، وقد سقت أدلة وشواهد عدة تؤكد أن الظاهرة في هذيل ، ولكن ما السرّ الذي دفع صاحب اللسان إلى القول بهذا ؟ وأرجح أن الذي دفعه إلى ذلك الرأي هو أن الهمز من خصائص تميم في الأصل ، وهو كذلك ، إلا أن الفصحى قد اتخذت الهمز شعاراً لها ، وأصبح الهمز ينتمي إليها أكثر من انتائيه إلى بيئة تميم ، ولهذا أرى أن هذيلاً — وهي التي تسهل الهمز شعرت بالنقص لهذا ، فحققوا هذه الصيغ بالشروط التي أشرنا إليها — كردّ فعل لإحساسهم بشعورهم بالنقص في الظاهرة العامة عندهم وهي تسهيل الهمز ، ومن ذلك أن بعض القبائل كانت تهمز ما ليس بمهموز ^(٤) ، وفي الصحاح : وربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز ^(٥) ، وذلك قولهم : حَلَّثْتُ السويق ،

(١) الزهر ٢/ ٢٨٨ ، وفي اللسان : الـورث في المال والميراث في

الحسب (مادة : ورث) .

(٢) انظر مثلاً : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١/ ٢٠٥ ، ٢٣٤ ،

٢٣٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، أمالي القالي ٢/ ٧٨ ، سرّ الصناعة ١/ ١٧٤

(٣) المخصص ١٣/ ٢٧٤

(٤) معاني القرآن للقراء ١/ ٤٥٩

(٥) الزهر ٢/ ٢٥٢



على حين ترك العرب كلهم الهمز في تلك الصيغ^(٥)، ولعل ذلك من أهل مكة كان من قبيل المبالغة أيضا، ومن ذلك أن شعراء البيئة الحجازية ومنها هذيل — كانوا يعاملون همزة الوصل كأنها همزة قطع غالبا، مبالغة منهم، أو حذقة كما يرى راين^(٦) وهذا المصطلح عندنا يقابله في اللاتينية: Hyperur banismus وفي الإنجليزيسة: Overcorrectness وهو اصطلاح عند علماء اللغة المحدثين يطلق على الصيغ التي تتكون بسبب الحرص الشديد على محاکات اللغة الفصحى ممن لا يعرفون قواعدها من عامة الشعب — تحذقا وتقرا.

على أن هذيلًا عندما حققت الهمزة فيما سبق مخالفة بذلك بيئة المنطقة الحجازية التي هي فيها لا يعدو أن تكون أشبه بالجزيرة اللغوية (Speech island) عندما تخالف ما يشيع في جيرانها، وقد سبق في مقدمة الدراسة التاريخية للقبيلة أن وصفنا مجتمعها بالشذوذ الجغرافي والاجتماعي، وهذا الشذوذ يغري بالشذوذ اللغوي، وإذا كانت هذيل قد خالفت منطقة الحجاز التي هي منها في ظاهرة صوتية كما تقدم فقد خالفتها في ظاهرة إعرابية أيضا من هذا: أن الحجاز تنصب الخبر في مثل: ما هذا بشراً، وتميم ترفعه، وهذيل خالفت

ورثأت زوجي بأبيات، واستلأمت الحجر، ولبأت بالحج^(١). فأصولها غير مهموزة؛ لأن الأول من الحلواء، والثانية من المراثية، والثالث من السلام وهي الحجاره، والرابع من التلبية، وسبب الهمز التوهم، وهي ظاهرة شائعة في اللغات بعامة، وتسمى: القياس الخاطيء^(٢) Popular Etymology واعتبر الهمز (موضة العصر)^(٣) فهذيل أرادت أن تنطق بالكلمات السابقة على غلط الفصحى، فأضاحت الهمزة؛ إذ الهمز من سمات الفصحى، ولهذا ظهر في شعر الشعراء ومواقف الجد من القول، وأيا ما كان فالظاهرة في هذيل تعتبر مبالغة في التفاصيل؛ ولهذا كان حمزة القارئ المشهور يحذر الناس من المبالغة في تحقيق الهمز عند التلاوة، والدليل على أن الهمز قد ذاع وانتشر أن نافع المدني وابن كثير المكِّي كانا يلتزمان تحقيق الهمز في بعض الكلمات مع أنهما في بيئة الحجاز التي تنفر من الهمز^(٤).

ولهذا لا تقلق إذا وجدنا بعض الظواهر اللهجية في الهمز تخالف ما عرفناه، فهذيل — وهي التي تسهل الهمز قد حققت في تلك الكلمات السابقة، ومثلها في ذلك مثل أهل مكة — وهم المشهورون بالتسهيل — عندما خالفوا غيرهم من العرب فهمزوا: النبي، والبرية، والذرية، والخابية.

ويسمى (فندريس) هذه الظاهرة في كتبه (اللغة) ص ٨٠

«الإسراف في المدينة والغلو في مراعاة الصحة»

(٤) كان نافع قارئ المدينة يحق: النبيين. النبيون. الأنبياء.

النبي. النبوة. انحاف فضلاء البشر ١٣٨.

(٥) المخصص ١٧/١٥٣، ٨/١٤.

(٦) Rabin.Ancient, West Arabian, P. 133

(١) الزهر ٤٩٦/٢

(٢) ومن القياس الخاطيء قولهم: مصائب — بالهمز وأصلها الهاء،

ولكنهم شبهوا مصيبة بصحيفة فكما همز واصحائف همزوا

مصائب، وليست ياء مصيبة بزائدة كياء صحيفة.

(٣) Rabin. Ancient, West Arabian, P. (٣)

H5.London,1951.

بالهمزة ، وفي بقية أشعار الهذليين بغير الهمز
(ولدة) .

٣ — صيغة (لإلدك أصحابي) في شعر مالك
الخناعي الهذلي^(٥) بالهمز ، وفي رواية
(لولدك) بالواو .

٤ — صيغة (فكان لها أدِّي) في شعر صخر
الهذلي^(٦) بالهمز ، ورواية أخرى (ودِّي)
بغير همز^(٧) .

ظهور اللهجة في الساميات والمصاحف القديمة والفصحى

ظهرت اللهجة الهذلية في المستويات الآتية :

أولاً — في المصاحف القديمة والقراءات
القرآنية :

أ — ومن ذلك مصحف أبي بن كعب في قوله
جَلَّ شأنه : « ويوم ترى الذين كذبوا على
الله أجوهم مُسَوَّدَةً »^(٨) بدل « وجوهم » .

ب — وفي مصحف أبي « ثم استخرجها من إعاء
أخيه »^(٩) بدل : وعاء ، كما وردت قراءة
الهمزة في مصحف سعيد بن جبير^(١٠) .

وعزيت لهذيل ، وقراً
الحسن : وعاء — بضم الواو ، ويقول

لهجة الحجاز في ذلك ، وسارت في ركب تميم ،
فلا نعجب إذا خالفت هذيل الحجاز فهزمت هذه
الصيغ ، وعلينا ألا نجزع لهذه التواءات اللهجية في
المنطقة الجغرافية الواحدة ، من ذلك مثلاً أن
الإدغام تميمي وهو سمة شرق الجزيرة العربية ومع
ذلك نرى ابن مسعود الهذلي يقرأ بالإدغام أحياناً في
قوله تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا »^(١١)

كما يقرأ : « أَفْتَحْتُمْ »^(١٢) مع أن الإظهار لهجة
المناطق الحجازية ، وفيها ديار هذيل حيث كانت
حول مكة وجنوب شرقي الطائف . وربما أكون
مطمئناً حين أرجح أن البدو من هذيل هم الذين
كانوا يحققون هذه الألفاظ ، وأن الحضر منهم
كانوا يسهلونها أي : ينطقون بالواو المضمومة ،
والواو المكسورة ، ومما يرجح ما أذهب إليه أنني
وجدت تلك الألفاظ المنسوبة إلى هذيل في ديوانها
محققة الهمزة ، ووجدتها نفسها في روايات أخرى
غير محققة الهمزة من ذلك مثلاً :

١ — أن صيغة (ألدان) بالهمز في شعر مالك
الخناعي الهذلي ، وردت في رواية أخرى
(وكدان)^(٣) .

٢ — صيغة (إلد) في شعر البريق الهذلي^(٤)

والبحر المحيط ٧ / ٤٣٧ ، ومختصر شواذ القرآن ١٣ لابن خالويه ،
وانظر موقف أبي عمرو بن العلاء من هذه القراءة حيث ينكرها
ويردّها .

(٩) آية ٧٦ من يوسف

(١٠) انظر تاريخ المصاحف ، ومصحف سعيد بن جبير . آرثر

جفري ، ومختصر شواذ القرآن ٦٥ لابن خالويه ، وتفسير
الكشاف ، والمختص : يوسف آية : ٧٦ . وشرح التصريف

١ / ٢٢٩ والبحر : ٥ / ٣٣٢ .

(١) مختصر شواذ القرآن ٢١ لابن خالويه .

(٢) تاريخ المصاحف ص ٥٠ آرثر جفري .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ٤

(٤) المرجع السابق ٣ / ٦

(٥) المرجع السابق ٣ / ٩

(٦) التمام في تفسير أشعار هذيل ١٩٤

(٧) الأغاني ١ / ٢٢٨ ط دار الكتب .

(٨) آية ٦٠ من الزمر . تاريخ المصاحف : تحقيق آرثر جفري ،

إعرابه : ويجوز في العربية « أقفوا على النار » بضم الهمزة مثل (أقتت)^(٩) .

ز - وفي قوله تعالى : « وَوَفِّيَتْ كُل نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ »^(١٠) يقول النحاس : ويجوز في غير القرآن (وأقيت) بضم الهمزة مثل (أقتت)^(١١) .

ح - وفي قوله تعالى : « وَأَلْكَتِ وَقُودَ النَّارِ »^(١٢) قرأ الحسن ومجاهد وطلحة بن مُصَرِّف (وقود) بضم الواو . ويقول أبو جعفر النحاس : ويجوز في العربية إذا ضم الواو أن يقول (أقود) بضم الهمزة مثل (أقتت)^(١٣) .

ويلاحظ على تلك النصوص والقراءات القرآنية أن أبا جعفر النحاس أجاز الصيغ المهموزة - لغة ، ولكنه لم يجزها قراءة ! وهو على حق ؛ لأن الأصل في القراءات الرواية والنقل ، لا البقياس والعقل ؛ ولذا فقد وردت الرواية القرآنية بضم الهمزة في

النحاس^(١) : يجوز في غير القرآن (أعاء) بالضم .

ج - وقرأ زيد بن علي « فاجعل إفادة من الناس تهوي إليهم » وزيد هذا كانت إقامته بالكوفة مهبط عبدالله بن مسعود الهذلي ، وقال عنه أبو حنيفة : ما رأيت في زمانه أفقه منه ، ولا أسرع جوابا ، ولا أئين قولاً^(٢) .

د - « وإذا الرسل أقتت »^(٣) وهي قراءة الجماعة ، وأصلها فُعلت : من الوقت ، فالواو أصل . وأبو عمرو بن العلاء قرأها بالواو .

هـ - وقرأ عبدالله بن مسعود الهذلي : « لِيُيَدِّي لهما ما أُورِي عنهما من سؤاتهما »^(٤) بالهمزة المضمومة^(٥) وفي إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس « ويجوز في غير القرآن » أُورِي « بضم الهمزة مثل : أقتت »^(٦) . وقراءة العامة « ما وورِي » .

و - وفي قوله تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على النار »^(٨) يقول أبو جعفر النحاس في

(١٠) آل عمران ٢٥

(١١) ٣١٨/١

(١٢) آل عمران ١٠

(١٣) ٣١٣/١

* مختصر شواذ القرآن ١٦٧ لابن خالويه . والمختضب ١٦٤/٢ لابن جني . تحقيق : الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي وزميله ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة . شواذ القراءة : ورقة ٢٥٦ للكرماني . مصور بمكتبة كلية دار العلوم بالقاهرة . مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٣ . البحر المحيط ٤٠٥/٨ . المتطور النحوي ٣١ برجستراسر . القاهرة .

(١) انظر : إعراب القرآن : ٢ / ١٥١ لأبي جعفر النحاس . ط

العراق

(٢) البحر ٤٣٣/٥

(٣) الأعلام : ٣ / ٩٨

(٤) الرسائل : ١١

(٥) الأعراف آية ٢٠

(٦) البحر ٢٧٩/٤ ومصحف ابن مسعود ٤٢ تحقيق : آرثر

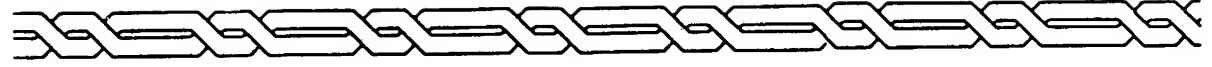
جفري

(٧) إعراب القرآن : لأبي جعفر النحاس : ١ / ٦٠٣ تحقيق :

د. زهير غازي. ط العراق .

(٨) الأنعام ٢٧

(٩) ٥٤١/١



(أُقْتَتَّ)^(١) دون ما عداها من الصيغ التي أشبهتها .

وهناك من الأوجه ما يصح لغة ، ولكنه لم يروَ قراءة ، ومثل هذا الضرب لا يقرأ به ؛ لأن القراءة سنة متبعة ، وأكثر ما تجد هذا اللون — مما صحَّ لغة ولم يروَ — في كتاب معاني القرآن للقراء^(٢) (ت ٢٠٧ هـ) . وما يقوي هذا ما روي عن أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) : لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقُـرأت (حرف كذا) — (كذا)^(٣) .

وهناك قراءات صححت لغة ، وجرت على ألسنة العرب ، ومع ذلك لم يقرأ بها ؛ لأنها لم ترد ، ولم يكن لها سند صحيح يعتمد عليه من نقل أو رواية^(٤) .

ثانياً — في الساميات ولغة النقوش :

١ — تحول الواو في بعض مفردات اللهجة

الصفوية إلى همزة : ون س / أن س ، و دم / آدم^(٥)

ب — كما تحولت الواو همزة في أول الكلام في لغة النقوش اللحيانية^(٦) .

وفي العلم الشخصي : وهيب / أهيب .

ثالثاً — في المعاجم :

(وُرْقة : بضم الواو / أُرْقة) بضم الهمزة :

للبعير إذا كان يخالط سواده بياضاً ، والأصل : الواو .

رابعاً : وفي الحديث الشريف : « اثبتوا على

مشاعركم ، فإنكم على إثر من إثر إبراهيم^(٧) »

والأصل : وِثْ . بكسر الواو .

والله أعلم .

د . أحمد علم الدين الجندي

أستاذ الدراسات اللغوية

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

وفي الخصائص ٣ / ٨٥ (وأُرْقة وُورقة) وهو مسموع ، والورقة من الألوان : سواد في غيرة أو سواد وبياض .

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده : ٤ / ١٣٧

وذكره الزمخشري في الفائق : ١ / ٣٣

وانظر : ابن الأثير في أسد الغابة : ٣ / ٣٨١ ، ٦ / ٣٤٥

ولسان العرب (مادة : وِثْ) .

(١) المرسلات : ١١ (٢) انظر : الاحتجاج للقراءات : دكتور عبد الفتاح شليبي : مجلة البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة المكرمة : العدد الرابع . (٣) السبعة لابن مجاهد ٨٣ تحقيق الدكتور شوقي ضيف . (٤) انظر أمثلة شليبي . ط نهضة مصر ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م . القاهرة . (٥) مقال للأستاذ ليثان بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ٣ / ٢٤٧ (٦) البحوث والمحاضرات في مؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة ١٩٦٢ . (٧) اللسان : مادة (ورق) .

